المحاضـــرة السابـــــــعة:

**عمود الشعر ( نماذج نصية من المشرق والمغرب والأندلس)**

اتخذ الشعر العربي بوصفه عملا فنيا عبر تاريخه الطويل مسارا وماهية أصبحا من معالمه المتميزة سواء في ألفاظه ومعانيه ،أو في استعاراته وتمثيلاته أو غير ذلك من الخصائص ،لكن تلك الخصائص لم تمنع هذا الشعر من الاندفاع إلى ناحية غير عربية،تنأى به شيئا فشيئا عن طريقة العرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ،فبدأت الآثار الغريبة تتسلل إلى الأسلوب العربي التقليدي، ووفي ظل هذه الظروف فقد "كان طبيعيا أن يتشدد النقاد في الدعوة إلى احترام سنن الأقدمين من الشعراء "([[1]](#footnote-1))،مادعا هم –أي النقاد - إلى وضع نظرية أدبية تتحدد من خلالها الخصائص والسمات التي يصبح الكلام بمقتضاها شعرا،  ،وهذه الخصائص هي ما اصطلح عليه باسم عمود الشعر.

***أولا :تعريف عمود الشعر لغة واصطلاحا:***

**العمود لغة**:  عمود البيت وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء، والجمع أعمدة وعمد، قوامه الذي لا يستقيم إلا به، والعميد السيد المعتمد عليه في الأمور أو المعمود إليه: وعمود الأمر ما يقوم به. ([[2]](#footnote-2))

**العمود اصطلاحا** : نجد عددا من التعاريف أهمها:

"هو طريقة العرب في نظم الشعر لا ما أحدثه المولدون والمتأخرون، أو هي القواعد الكلاسيكية للشعر العربي التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها، فيحكم له أو عليه بمقتضاها."([[3]](#footnote-3))

ويعرف كذلك بكونه :" مجموعة الخصائص الفنية المتوفرة في قصائد فحول الشعراء، والتي ينبغي أن تتوفر في الشعر ليكون جيدا." ([[4]](#footnote-4))

وهو أيضا : "التقاليد المتوارثة والمبادئ التي سبق بها الشعراء الأولون واقتفاها من جاء بعدهم ،

حتى صارت سنة متبعة وعرفا متوارثا."([[5]](#footnote-5))

يلاحظ في هذا السياق أن المعنى الاصطلاحي مستوحىً من المعنى اللغوي، فكما أن خشبة بيت الشَعر هي الأساس الذي يقوم عليه ذلك البيت، فإن أصول الشعر العربي وعناصره التي يُشير إليها المعنى الاصطلاحي تُعدُّ أيضًا بمثابة الدعامة والركيزة الأساسية التي لا يقوم نظم الشعر الجيد الصحيح إلا عليها.

أما أقدم استخدام لهذا المصطلح فكان في كتاب "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري" لمؤلفه الآمدي، وبعد ذلك عرف المصطلح وشاع خلال القرن الرابع الهجري .

***ثانيا :نشأة قضية عمود الشعر :*** نشأت هذه القضية نتيجة الحركة النقدية التي دارت حول مذهب الشاعر أبي تمام ، فمع بدايات عصر التدوين، أخذ الرواة يجمعون الشعر العربي القديم ويدونونه في مؤلفاتهم ويهمشون شعر المحدثين ولو كان جيدا ، وقد غذى هذا الاتجاه جماعة من الرواة وعلماء اللغة كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن الأعرابي.

وخلال العصر العباسي ظهرت حركة شعرية جديدة تدعو إلى مواكبة الشعر لمتطلبات العصر ومسايرة المستجدات التي طرأت على الحياة العربية ،وقد تزعم هذه الحركة بشار بن برد وأبو نواس ومسلم بن الوليد ،الذين حاولوا التجديد في أسلوب القصيدة وبنائها ،وذلك بتضمينها كثيرا من العناصر التي عرفت بعد ذلك باسم البديع ،فلما جاء أبو تمام اهتم بهذا التوجه وحرص على أن لا يخلي شعره من "البديع" حتى آل به الأمر إلى أن أصبح زعيما للحركة الشعرية الجديدة ،و كان يعاصر أبا تمام شاعر آخر هو البحتري، حرص هو الآخر على السير وفق نهج القدماء مترسما خطاهم، وقد أثار اختلاف التوجهات الشعرية اهتماماً بالغاً بين النقاد، وكان مثار حركة نقدية خصبة غنية ،حيث إن "النقاد جميعاً قد انقسموا في أثناء القرن الثالث إلى مجددين يقفون في صف أبي تمام، ومحافظين يقفون في صف البحتري، ومعتدلين يترددون بين الطرفين"([[6]](#footnote-6))

***ثالثا: أصول عمود الشعر في التنظير النقدي*** :

لقد مرّت ْ الخصائص الفنية التي عبر عنها عمود الشعر في طريقة العرب بثلاثةِ نقادٍ كبار هم: **الآمدي والقاضي الجرجاني والمرزوقي**.وسنتناول فكرة عمود الشعر عند كل ناقد على حدة لتتبين معالم التطور الذي مس هذه الفكرة وعناصرها ،وتتضح ظواهر التجديد والتغيير فيها عبر الزمن.

***1- الحسن بن بشر  الآمدي-ت371هـ- :*** يعد أول المتحدثين عن هذا المفهوم ؛ وذلك عندما وازن َ بين شعر أبي تمـّـام والبحتري في كتابه ( الموازنة بين أبي تمـّـام والبحتري ) وقد اتخذ من شعر البحتري نموذجا ً للشعر القديم ،فالتزم – أي البحتري – بطريقة العرب ولم ْ يخرج عن عمود الشعر ، وقد نص الآمدي صراحةً على ذلك فقال : " إن البحتري كان أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف "([[7]](#footnote-7)) كما ذكر في موضع آخر على لسان البحتري الذي سُئل عن نفسهِ وعن أبي تمام فأجاب : " كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه "([[8]](#footnote-8)) بينما يرى ( الآمدي ) بأن ّ أبا تمـّـام لم ْ يلتزم بطريقة العرب وقد ابتعد عن عمود الشعر. فالآمدي يوازن بين الشاعرين من خلال نظرية أدبية ،حدد سماتها من أدب التراث وشعر السابقين

   ويبدو أن نظرية عمود الشعر عند هذا الناقد إنما نشأت خدمةً للبحتري، ودفاعًا عنه، وإعجابًا به، كما يرى الدكتور إحسان عباس([[9]](#footnote-9)) ، فبسبب من تفضيل الآمدي لأسلوب البحتري، ونفرته من طريقة أبي تمام، استمد من شعر البحتري تصورًا خاصًا للشعر، وأطلق على هذا التصور ذلك المصطلح .ويقول الآمدي في شأن ذلك : " وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي، وقرب المأخذ، واختيار الكلام، ووضع الألفاظ في موضعها، وأن يورد المعاني باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، **وتلك طريقة البحتري** ...والبلاغة إنما هي إصابة المعنى، وإدراك الغرض، بألفاظ سهلة عذبة، مستعملة سليمة من التكلف لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة. فإن اتفق مع هذا معنى لطيف، أو حكمة غريبة، أو أدب حسن، فذلك زائد في بهاء الكلام، وإن لم يتفق، فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه. قالوا وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة، وكانت عبارته مقصرة عنها، ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة اليونان، وحكمة الهند، أو أدب الفرس، ويكون أكثر مما يورده منها بألفاظ متعسفة ونسج، مضطرب، قلنا له: قد جئت بحكمة وفلسفة، ومعان لطيفة حسنة، فإن شئت دعوناك حكيمًا، أو سميناك فيلسوفًا، ولكن لا نسميك شاعرًا، ولا ندعوك بليغًا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم **"**([[10]](#footnote-10))

لا شك أن الآمدي من خلال هذا النص كان يُؤثر طريقة البحتري، ومن أجل ذلك جعلها (**عمود الشعر**) ونسبها إلى الأوائل ،حيث تحدث من خلال هذه النظرية عن تصوره للشعر وطرائقه ومناهجه من خلال شعر البحتري أنموذجًا للشعر القديم،من حيث الأسلوب، ومن حيث المعاني، ومن حيث الأخيلة والصور ،حيث"**جاءت نظرية عمود الشعر عنده صورة لشعر البحتري، ومن ثم صورة للشعر القديم**"([[11]](#footnote-11))،وهذا ماسنفصل فيه الحديث في مايلي:

**خصائص عمود الشعر عند الآمدي :**

**أ- الأسلوب**: الآمدي يؤثر السهولة والوضوح، ويتجه إلى الشعر القريب الذي يخاطب القلب من أسهل الطرق، وبالتالي فهو يُنفر من كل ما يمكن أن يُفسد في الشعر بساطته ويبعده عن عفويته أو يعقده ويغمضه، وهذا ما ألح عليه الناقد في موضع آخر " ينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ ،يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه،حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل، وهذا مذهب أبي تمام،في عظم شعره ، وحسن التأليف،وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بها،حسنا ورونقا حتى كأنه قد أحدث في غرابة لم تكن ،وزيادة لم تعهد،وذلك مذهب البحتري،ولهذا قال الناس:لشعره ديباجة،ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام، وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة ولا سبك جيد ،ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق أو نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه." ([[12]](#footnote-12))الموازنة  ولذلك نجد الآمدي ينتصر للبحتري؛ لأنه كان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ، ووحشيّ الكلام، أمّا أبو تمام فإنه في رأيه فارق عمود الشعر؛ لأنه شديد التكلف، صاحب صنعة، ويستكره الألفاظ والمعاني.

**ب- المعاني** : الآمدي يُنفر من الفلسفة والأفكار الدقيقة والمعاني الصعبة إذا دخلت في نسيج الشعر؛ لأنها تجعله بحاجةٍ إلى استنباط وإدامة النظر والتفكير، فيصبح الشعر بعيدًا كل البعد عن عمود الشعر العربي المعروف، ويُخرج صاحبه من دائرة الشعراء والبلغاء، ويُسمى وقتها حكيمًا أو فيلسوفًا؛ لأن طريقته ليست طريقة العرب ولا على مذهبهم.

**ج- الأخيلة والصور** :إن عمود الشعر بالنسبة إلى الآمدي لا يتجافى مع الصنعة، ما لم يخرج إلى حيز الإفراط والمبالغة والتكلف المذموم ،والشاعر الذي يحسن تناولها بهذه الصورة شاعر مطبوع، على مذهب العرب، ولم يفارق عمود الشعر العربي ، وهذا ما وجده الآمدي ماثلا في طريقة البحتري فقال:" وحصل للبحتري أنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة، مع ما نجده كثيرًا في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة"([[13]](#footnote-13))، ومما يحرص عليه الآمدي وهو يرسم عناصر عمود الشعر قرب الاستعارة، وهذا القرب يتأتى إذا كانت العلاقة واضحة بين المشبه والمشبه به، وكل ما كانت الصلة واضحة بين هذين الركنين، وكان وجه الشبه الذي يربطهما متميزًا جليًا كانت الاستعارة قريبة، وبالتالي مستحسنة، وهذا العنصر كا كفيلا بخروج أبي تمام على عمود الشعر؛ لأن استعارته اتسمت بالبعد، فأصبح شعره " لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة "([[14]](#footnote-14))

***2- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني-ت392ه-***: إن الجرجاني في كتابه (**الوساطة بين المتنبي وخصومه**) قد تعَّرض فيه لبعض خصائص الشعر العربي، ولكثير من الأحكام النقدية، وقد سلك الجرجاني مسلك الآمدي، فلم يحدد عناصر تصوره لعمود الشعر تحديدا صريحا ،حيث ذكر في معرض كلامه عن المرتكزات الأساسية للمفاضلة بين الشعراء مصطلح" **عمود الشعر**" وكذلك "**نظام القريض**"،قال في ذلك :" وكانت العرب، إنما تفاضل بين الشعراء: في الجودة والحسن: بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه فقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض"([[15]](#footnote-15))

وقد خرج الدارسون من هذا النص بعناصر ستة رأوا أن الجرجاني يعدها مكونات عمود الشعر هي:

1-شرف المعنى وصحته

2-جزالة اللفظ واستقامته

3-الإصابة في الوصف

4-المقاربة في التشبيه

5-الغزارة في البديهة

6-كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة

فحدد للشعر ستة عناصر يتعلق بعضها باللفظ الذي ينبغي أن تتوافر فيه الجزالة والاستقامة، ويتعلق بعضها بالمعنى الذي يشترط فيه الشرف والصحة، ويستحسن منه ما كان سهلاً مفهومًا يسير أمثالاً على الألسنية، وأبياتًا شاردة يتناقلها الناس ويحفظونها حكمًا وشواهد، ويتعلق بعضها بالخيال، ويؤثر عمود الشعر عند الجرجاني ما كان مطبوعًا سهلاً، قريب المتناول، يُصيب الوصف، ويقصد الغرض من سبيل صحيح .

وواضح أن معظم العناصر تكاد تكون عناصر عامة تتوافر في الشعر القديم مثلما تتوافر في الشعر الحديث كذلك ،ولو قارنا هذه العناصر بما جاء عن الآمدي لتأكد لنا القاضي الجرجاني قد قرأ ما كتبه الآمدي عن عمود الشعر، فأفاد منه كثيرا([[16]](#footnote-16)) ،وأهم الإضافات التي يمكن أن نخرج بها من تصور الجرجاني لعمود الشعر يمكن أن نجملها فيما يلي:
  - إن الجرجاني قد تحدث عن عناصر أو خصائص عمود الشعر بشكلٍ عام فلم يحصرها في الشعر الجاهلي كما فعل الآمدي، وإنما هو يحدثنا عن عمود الشعر الذي يُعني مجموعة عناصر الشعر ومقوماته الأساسية التي لا يقوم إلا بها في الشعر القديم والشعر الحديث

- عمدالجرجاني إلى تجنب تحديد المقصود بهذه المصطلحات /الخصائص ،وذلك حرصًا منه على تأكيد مرونتها وإضفاء طابع تعميمي عليها. كما أنه أطلق قضية عمود الشعر من عقال أبي تمام والبحتري إلى أفق أعم وأرحب، وإطار يصلح تطبيقه على كل شاعر وكل شعر.

    ويلتقي الجرجاني مع الآمدي في إيثاره للشعر المطبوع، وفي تفضيله لما كان سهل المتناول قريب المأخذ، ولكن الآمدي قد يكون أكثر تقبلاً منه للصنعة إذا كانت في حدود مقبولة لا تبلغ الإسراف الشديد، فقد رأينا أن البحتري عنده على الرغم من أنه من أصحاب البديع وقد أكثر من فنونه وأشكاله ،فهو شاعر ملتزم بعمود الشعر العربي، لم يفارق أصوله القديمة، ولم يخرج عليها ،بينما "هذه الصنعة تأتي هامشية في عمود الشعر عند الجرجاني"([[17]](#footnote-17))؛ لأن العرب ـعلى حد تعبيره ـ " لم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصل عمود الشعر ونظام القريض"([[18]](#footnote-18))

     وقد رأينا فيما سبق بأن عمود الشعر عند الآمدي لم يكن يعبأ بالمعاني الموّلدة الجديدة، فقد رفض هذه المعاني أساسًا في الشعر وعدها خروجًا على عمود الشعر  ، أما الجرجاني فقد نظر إلى المعاني من زاوية أوسع وأرحب، فاشترط فيها أن تكون شريفة صحيحة، ومن الواضح أن هاتين الصفتين في المعنى تُفسحان المجال للأفكار الجديدة، والمعاني الموّلدة، ولا تعدانها خروجًا على عمود الشعر أو مخالفة لطرائقه
 - عمود الشعر عند الجرجاني يلتقي مع عمود الآمدي في أنه ينفر من المعاني المعقدة الغامضة التي تُستخرج بالغوص والفكرة، وتحتاج إلى تأمل ونظر كما رأينا سابقًا .
    فكان الجرجاني كالآمدي لا يرحب كثيرًا بدخول الفلسفة إلى مجال الشعر، ويكره فيه أن يكون معرضًا للنظر والمحاججة، أو الجدل والقياس، فلذلك في نظره هذا مما يعقد الشعر، فيبعده عن النفس، وينفرها منه، ويقول : " والشعر لا يُحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة، ولا يحلي في الصدور بالجدال والمقايسة، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة، ويقربها منه الرونق والحلاوة .. "([[19]](#footnote-19))

       وقد ذكرنا آنفًا بأن الآمدي قد ذكر صراحةً وفي أكثر من موضع على أن البحتري قد التزم بعمود الشعر، وقام بأصوله حق قيام، على حين أن أبا تمام فارق عمود الشعر، وخرج عليه، وخالف طريقة العرب،  أما الجرجاني فإننا لا نلمح له موقفًا محددًا من هذه القضية، فهو لم يتهم أبو تمام بالخروج على عمود الشعر، حتى انه لم يتحدث في وساطته بين المتنبي وخصومه عن صلة المتنبي بعمود الشعر

يتضح مما تقدم أن معالجة الجرجاني لقضية عمود الشعر كانت أوسع منها عند الآمدي، وقد حاول جعلها صالحة في كل عصر وكل زمان، بحيث يمكن تطبيقها على كل شاعر وكل شعر.

وكما ذكرنا سابقًا بأن خصائص عمود الشعر بشكل عام كانت مستمدة من الشعر القديم ومستنبطة من أصولهِ ومبادئهِ، وهذه ظهرت عند الآمدي حيث مثلها وطبقها على البحتري أنموذجًا للشعراء الأوائل، بينما كانت تلك الخصائص عند الجرجاني تمثل المفاضلة بين الشعراء بشكلٍ عام، وكانت تتوافر في الشعر الجيد وهي عناصر عامة تتوافر في الشعر القديم مثلما تتوافر في الشعر الحديث .
    إن نظرية عمود الشعر هذه كما عرضها الجرجاني قد أصابها تطور كبير عما كانت عليه من قبل، مثلاً كانت تلك النظرية عند الآمدي محصورة في نطاق ضيق تتمثل في الشعر القديم أو في شعر البحتري، بينما نجد غير ذلك عند الجرجاني فأخذت تتسع وتمتد، وتصبح أكثر انفتاحًا، وأشد انفساحًا.
**3- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي-** 421 هـ **-:**

تعرض المرزوقي للحديث عن عمود الشعر في المقدمة التي كتبها على شرحهِ لحماسة أبي تمام، فقد مهّد لشرحهِ بمقدمة نقدية قيمة عالج فيها عددًا من القضايا النقدية المهمة، أتى في جانبٍ منها على ذكر عمود الشعر ,
    والواقع أن ما كتبه المرزوقي عن عمود الشعر يعد أول محاولة جادة لتحديده، وبيان عناصرهِ، ومقياس كل عنصر من هذه العناصر، وقد استفاد في صياغتهِ لنظرية عمود الشعر من كل الآراء النقدية التي سبقته .

يقول المرزوقي :"فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، لتمييز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب"([[20]](#footnote-20))   .

 إذن ماذا عرف العرب عن عمود الشعر؟ يقول المرزوقي في ذلك: " إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى، وشده اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار "([[21]](#footnote-21))

وإذا قارنا عناصر عمود الشعر عند الجرجاني بعناصره عند المرزوقي وجدنا أربعة مشتركة عند الرجلين،وجدنا الثاني عبر عنها بنفس عبارة الأول وهي:

-شرف المعنى وصحته -جزالة اللفظ واستقامته

-الإصابة في الوصف -المقاربة في التشبيه

واستغنى المرزوقي عن ذكر كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة، لأنه رأى أن ذلك يتحقق من اجتماع العناصر الثلاثة الأولى، فلا تحتاج إلى أن تذكر.

كذلك لم يذكر المرزوقي غزارة البديهة لا صراحة ولا ضمنا في عناصر العمود، واستعاض عن هذين

العنصرين بثلاثة عناصر لم يذكرها الجرجاني صراحة وهي:

- التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن

- مناسبة المستعار منه للمستعار له

- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما

وهذا ما يقودنا إلى القول إلى أن المرزوقي اعتمد في تحديده لعناصر العمود على كلام كل من الآمدي والقاضي الجرجاني .

ويجدر بالذكر أن المرزوقي لا يلزم الشعر أن يضم العناصر السبعة كلها، بل يعترف بما ضم منها عددا وأهمل عددا ، وأنه اتخذ منها معيارا للجودة. قال في ذلك: " فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها قال فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن "([[22]](#footnote-22)).

وعلى هذا الأساس لاحظ الدكتور إحسان عباس أن المرزوقي لا يخرج شاعرا عن عمود الشعر، وإنما يخرج القصيدة الواحدة أو الأبيات المعينة لإخلالها بكل العناصر. وطبيعي أن هذا التصور يختلف كل الاختلاف عن تصور الآمدي. ([[23]](#footnote-23))

كما جعل المرزوقي لكل واحد من العناصر السبعة عيارا يستطيع الشاعر أو الناقد أن يحتكم إليه فيبين جودته أو رداءته:

\*فعيار المعنى العقل الصحيح والفهم الثاقب.

\*وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال.

\*وعيار الوصف الذكاء وحسن التميز.

\*وعيار التشبيه الفطنة وحسن التقدير.

\*وعيار الاستعارة الذهن والفطنة.

\*وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى طول الدربة ودوام المدارسة([[24]](#footnote-24)).

    على الرغم من أن المرزوقي عاد إلى ما ذكره كل من الآمدي والجرجاني، إلا أنه يختلف عنهما، فالآمدي مثلاً حدد عناصر العمود تبعًا للشعر القديم آخذًا بالبحتري أنموذجًا له، بينما المرزوقي لم يحدد ذلك بل جعلها عامة للشعر الجيد وكذلك الجرجاني، كما أن المرزوقي لم يُلزم أحدًا بأتباع أركان عمود الشعر، وهذا عكس الآمدي الذي اتهم أبو تمام بالخروج عليه ومخالفة طريقة العرب، ولذلك يقول المرزوقي: " فمن لزمها بحقّها فهو عندهم (أي العرب) المفلق المعظم ...." فمن أراد التجديد أو الخروج على عمود الشعر فعليه أن يُثبت جدارته ويحقّق شروط منحاه .
وبعد المرزوقي لا يقدم أحد من المتأخرين على الخوض في قضية عمود الشعر، ليقدم وجهة جديدة، أو نظرة مستقلة.

***رابعا :عمود الشعر عند النقاد المغاربةوالأندلسيين :***

 لم تحدد هذه الفئة لعمود الشعر أصولا على النحو الذي شهده النقد المشرقي وإنما نعثر على مواقف متباينة في الحكم على الشعراء بين من يتشبث بالنموذج القديم ومن ينتصر للشعر الجديد،وربماكان مرد ذلك إلى الدور الريادي الذي تبوأه النقد في المشرق وتأثر المغاربة به في كثير من القضايا ،فإذا جئنا نتلمس موقف النقاد المغاربة من قضية عمود الشعر وجدناهم يرجحون كفة القديم ويميلون إليه ،ومن النماذج النقدية :

**1- ابن رشيق القيرواني-ت456ه- :** يتضح موقف هذا الناقد من خلال حديثه عن طريقة أبي تمام والبحتري حيث إنهما : " كانا يطلبان الصّنعة ويولعان بها: فأمّا حبيب فيذهب إلى حزونه اللفظ، وما يملأ الأسماع منه، مع التّصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، يأتي للأشياء من بعد، ويطلبها بكلفة، ويأخذها بقوّة. وأمّا البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنّعة وقرب المأخذ، لا تظهر عليه كلفة ولا مشقّة"([[25]](#footnote-25))، فالشاعران إذاً، يمثّلان مدرستين متناقضتين لكن ليستا متناحرتين في نظر ابن رشيق، لأنّ صاحبيها معا يبحثان عن الصنعة ويطبّقانها في شعرهما.

 ثم يعرض رأيه في القديم والحديث من الشعر ،حيث يرى أن الشعر فنّ بشريّ يصاحب البشر في أطوار حياتهم المختلفة، ويرافق تطورهم ويلائم عصرهم الذي هم فيه دون العصور الأخرى، وكل جديد من هذا الشعر إنّما هو إثراء لسابقه، وتواصل مع ماضيه وهو في الآن ذاته له قيمته، ولذلك يقول: "وإنّما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزيّنه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذاك وإن خشن"([[26]](#footnote-26))،فإنّ ابن رشيق ضرب مثلاً مشابهاً لكن برجلين يفترض فيهما أنّهما بنّاءان ماهران لهما باع في هذه الصّناعة، كل واحد يروم أن يثبت وجوده، ويستقلّ بشخصيّته؛ بيد أنّ النتيجة ستكون مختلفة في نهاية الأمر، لأنّ الرجلين لم يعيشا في زمن واحد، لكنّهما اشتركا في تشييد هذا البناء مع تباين في الوصول به إلى النهاية. لأنّ الأول لم يتأتّ له إتمامه، واضطر إلى مفارقته قبل أن ينتهي منه انتهاءً كاملاً وإن حرص على إحكامه وإتقانه، ثم حين أقبل الثاني أتمّ ما لم ينجز، فقام بوضع المقوّمات الجماليّة من زخرفة وصباغة وطلاء وزركشة.

 أما عن الخصائص التي يرى توفرها في الشعر ضروريا –بغض النظر عن قدمه أوحداثته- فقد حددها بقوله :" والذي أختاره أنا التجويد والتّحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدّهر، ويبعد عن الوحشيّ المستكره، ويرتفع عن المولّد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة"([[27]](#footnote-27)) ،فمن الواضح أن ابن رشيق يتقبل الشعر المحدث وأصوله وعناصره مثلما يتقبل الشعر القديم وخصائصه ،وهو يفتح له صدره، وينظر نظرة موضوعية نزيهة وحيادية تمتاز بالسعة والرحابة لكونها تقبل كل شعر، ما دام يلتزم أصولاً فنية لا يقوم الشعر إلا بها سواء أكان قديماً أم حديثاً.

**2-ابن بسام (ت542ه):** أهم ما يميز موقف هذا الناقد هو:" المحافظة والأخذ بمبدأ الالتزام بالذوق العربي العام الذي يمثله عمود الشعر"([[28]](#footnote-28))،وما يؤكد ذلك هو ثورته على الاستعارات المبتدعة البعيدة لدى بعض شعراء عصره: "كقول المهدوي بن الطلاء: **بقراط حسنك لا يرثي على عللي** " وقول ابن المصيصي:
 **إذا كانت جفانك من لجين   فلا شك فيها ثريد**([[29]](#footnote-29))

كما يستشف ذلك من تعليقاته على بعض ما يورده من أشعار :"وقد قدح أهل النقد في المتنبي بخروجه في الاستعارة إلى حيز البعد، كقوله:
 **مسرة في قلوب الطيب مفرقها   وحسرة في قلوب البيض واليلب** "([[30]](#footnote-30))
وهو ناقد لا ينفك يذكرنا بحبه للمألوف الذي جرت به العادة من الطريقة الشعرية .

**3- ابن خلدون-ت808ه- :** يحبذ هذا الناقد الالتزام بطريقة العرب والسير على نهجهم ويستحسن من الشعر ما توفر على الخصائص الشعرية التي تجعله أقرب إلى أساليب الأوائل، وطرائقهم في الشعر، حيث يرى: "أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه "([[31]](#footnote-31)) ،ويبدو أن المتنبي والمعري –بما أتيح لكليهما من الاطلاع على ثقافات عصرهما من فلسفة ومنطق وعلم كلام وملل ونحل وعقائد-، كلاهما قد صبغ شعره بألوان ثقافية وضروب وفنون من الفلسفة والمنطق التي رآها ابن خلدون عنصرا دخيلا على الشعر العربي ،فابتعدت بذلك عن ثوبها البسيط الذي يمثل صفاء السليقة العربية.

خاتمة:

نخلص مما سبق بأن قضية عمود الشعر التي تناولناها بالدراسة كانت تدور في نطاق قضية: القديم والحديث، وتسبح في فلكها، فحينما كان ذوق ناقدنا تقليديًا محافظًا لا يرى الشعر إلا ما كان للقديم أو شاكله، كانت صورتها مستمدة من هذا القديم نفسه، وحينما اتسع أفق هذا النقد، وانفتح على الشعر الحديث، وأصبح يرحب به، ويفتح له بابه، اتسعت نظرية عمود الشعر لتحتوي القديم والحديث، ولتصبح قوانينها عامة شاملة تكاد تحيط بأصول الشعر العربي كله .
      أما عند النقاد المغاربة والأندلسيين فقد رجحت كفة القديم لأغلب النقاد،فيما خلص ابن رشيق إلى نظريّة نقديّة رصينة تتمثّل في أنّ جودة الإنتاج لا تعرف زماناً.ومن ثم فقد اتسعت نظرته لتشمل القديم والحديث معا .

1. - **رحمن غركان** :مقومات عمود الشعر الأسلوبية ، ص 136. وممن دعا إلى ذلك ابن قتيبة الذي عرض لنهج القصيدة العربية القديمة وأقسامها وكيفية بنائها ، ثم ألح عل ضرورة اقتفاء هذا النهج بقوله : "وليس لمتأخر الشعراءأن يخرج على مذهب المتقدمين في هذه الأقسام" ينظر **ابن قتيبة** : الشعر والشعراء ،1/77. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ينظر :**ابن منظور** :لسان العرب (مادة ع م د )،10/275. [↑](#footnote-ref-2)
3. - ينظر**:أحمد مطلوب** : معجم النقد العربي القديم،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد، ط1، 2 /111. [↑](#footnote-ref-3)
4. - **أحمد بزيو** :عمود الشعر النشأة والتطور، مجلة الأثر ،عدد 21، ديسمبر 2014.ص32. [↑](#footnote-ref-4)
5. - **أحمد أحمد بدوي** :أسس النقد الأدبي عند العرب،دار نهضة مصر للطباعة والنشر ،دط، 1996، ص533 . [↑](#footnote-ref-5)
6. - **وليد قصاب** :قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، دار الفكر المعاصر،دمشق، ط1، 2010، ص145. [↑](#footnote-ref-6)
7. - **الآمدي،الحسن بن بشر** : الموازنة 1/4. [↑](#footnote-ref-7)
8. - المصدر نفسه، 1/12. [↑](#footnote-ref-8)
9. - ينظر :**إحسان عباس** :تاريخ النقد، ص150. [↑](#footnote-ref-9)
10. - **الآمدي،الحسن بن بشر** : الموازنة،1/423. [↑](#footnote-ref-10)
11. - **وليد قصاب** :قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم ،ص294. [↑](#footnote-ref-11)
12. - **الآمدي** : الموازنة ، 1/425. [↑](#footnote-ref-12)
13. - المصدر نفسه،1/18. [↑](#footnote-ref-13)
14. - المصدر نفسه، 1/6، 7. [↑](#footnote-ref-14)
15. -**القاضي الجرجاني** : الوساطة ،ص38 [↑](#footnote-ref-15)
16. - ينظر **رحمن غركان** :مقومات عمود الشعر الأسلوبية في النظرية والتطبيق ،ص 108. [↑](#footnote-ref-16)
17. - **وليد قصاب** :قضية عمود الشعر ،ص226. [↑](#footnote-ref-17)
18. **القاضي الجرجاني** :الوساطة ،ص38. [↑](#footnote-ref-18)
19. - المصدر نفسه ،ص100. [↑](#footnote-ref-19)
20. **المرزوقي**: شرح ديوان الحماسة،تح ابراهيم شمس الدين ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 2003 ،1/10. [↑](#footnote-ref-20)
21. المصدر نفسه ،1/10. [↑](#footnote-ref-21)
22. المصدر نفسه ،1/11. [↑](#footnote-ref-22)
23. ينظر **إحسان عباس**: تاريخ النقد ،ص416. [↑](#footnote-ref-23)
24. **المرزوقي** :شرح ديوان الحماسة ،1/11. [↑](#footnote-ref-24)
25. () **ابن رشيق القيرواني** :العمدة، 1/ 130. [↑](#footnote-ref-25)
26. () المصدر نفسه ، 1/ 27. [↑](#footnote-ref-26)
27. المصدر نفسه ، 1/93. [↑](#footnote-ref-27)
28. **إحسان عباس** :تاريخ النقد ،ص506. [↑](#footnote-ref-28)
29. **ابن بسام الشنتريني** :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت ،1997، القسم الأول :2 /842. [↑](#footnote-ref-29)
30. المصدر نفسه ،القسم الأول ، 2/ 842. [↑](#footnote-ref-30)
31. **ابن خلدون، عبد الرحمن** :المقدمة، ص1296، وينظر ص 1298. [↑](#footnote-ref-31)